ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وأفكارهم ليس أقل شأنا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها

« وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنيتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، ومبانيها من معان ، فكانت من الأشياء التى تكاد لاتعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ماكان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقنا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل مافيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كى يتخلص من براثن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار القراعنة البديعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز . »

وإليك كلمة اخرى للاميره بيبسكو (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر — فى رسالة لها بعنوان « يوم مصر » (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى سقارة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريقى . فان « إمحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك مايدعو للدهشة فى ذلك ، لأن عليها مسحة قدسية ، ولأنها أجمل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تشابهها . وقد تفوقها من أنها أتم تهذيبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية الى ماقبل « فدياس » بثلاثين قرنا .

« وأنى لأحس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رءوس من سبقونا . وهامصر قد فازت أخيرا بقصب السبق . أما هؤلاء الذين تحيزوا للفن الاغريقى ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رءوسهم من الخزى بعد استكشاف أعمدة صقارة »

(يتبع) احمد يوسف

بالمتحف المصري

(١) كان نوع هذا العمود منسوباً الى الاغريق — Doric Column — على انه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيراً فى صقارة بواسطة المرحوم المستر سيل فرث ، وظهر أنه من ابتكار الامة الثالثة المصرية

مقـــدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزيل البرازيل

تعليق

كانت نفسى تجمجم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع إلى لأكتب عنه كلمة فى « مجلة الزائرين » — وقد أهداه صاحبه اليها لأن مقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدى زماننا هذا ! ولكن التوانى فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها وخمود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

بيد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارئ صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه . . الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته النثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداها فى نوادى الادب فى الشرق العربى وسط عصر الجهاد والفداء والزلزلة ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتد ذلك عقوقاً لهـــذه النفس البرة التى لم تطرف عينها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الرائية الآسية للوطن الاول . . .

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجيعة ، والبوق الهاتف بأصواتها التى سيسمعها القارئ خلال ما تنقله من السطور ، نزيل ديار فاتنة بأفانين حياتها وحريتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الاول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكى الحوادث ، وتحت مناسمها من

أدباتنا الذين يأخذ أمتهم الضغط والاضطهاد مصبحة وبالليل ، نجدهم كما يقول صاحب الأعاصير : « بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها .. وعابد بغيا يسفح شبابه على أقدامها .. و (علاك) أوزان تمر به قوافل الحياة قطاراً تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الأجيال ، وهو واقف إزاءها وقفة الغر الابله يتلهى بتشطير أو تخميس ! أو يبارى فى وصف ساعة معلقة على جدار كأن ليس فيما يجرى خلفه وبين يديه من ساعات الهول وأهوال الساعة ما يحرك له خاطراً أو يهيج له شاعرية . ! أو ليس من الغبن الفاضح ومن دواعى اليأس القاتل أن يموت فى الأمة شاعر فتصبح الأمة بأسرها شعراء ترثيه وتبكيه ، وتموت بأسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها ؟ ! » أجل أيها الأخ النازح ! إنه لغبن فاضح وجهل بحقوق الأمم فى أعناق الرجال ، وغفلة عن رسالة الشعر والأدب ، وعن وصاية الأدباء على أممهم ، أن يهمل المتأدبون ناحية الجهاد فى هذه الحقبة من تاريخ العرب ، وأن يعكفوا على أدب الخليين الذين يذهبون الى اشباع الحاسة الفنية فيهم ليس غير . . .

وإنى لأفهم أن قلم الشاعر والكاتب ، ولسان الخطيب ، فى عصرنا هـــذا ، يجب أن تشيع فى منتوجه ألوان من آلام أمته ، وأن يخلد من وقائع جهادها صورا تتيح للأجيال المقبلة ان ترى فيها حياة الألم الذى يأكل احساس الجماعة المثقفة فى هـــذا العصر لانهم بشاعريتهم المصقولة ، واحتكاكهم بالزمن ، وتيقظهم لمروره يعكسون صور من يدركون من الحوادث بوضوح واستيعاب ، فاذا حولوا هذه الحساسية المصقولة إلى حياة اللهو والمتاع والخلو ، فقد تضيع معالم هذه الحقبة من تاريخنا أو تنهم ، فضلا عما يصيب إحساسنا القومى من تبلد ونزوع الى حياة المتعة حيث الكتابات الداعية اليها تأخذ على عين القارىء مسالك الصخف . وفى هذا خسران الروح المعنوية فى عصر الجهاد ، وفى ذاك خسران أيضا لأننا فى جيل انتقال أجوج ما نكون إلى تسجيل الأحداث مع المشاعر التى تصاحبها ولن يسجل المشاعر إلا شاعر .

ولن يستطيع الداعون إلى بناء الوطن العربى ان يجدوا فى نفوس الشباب حرمة له مالم يأتوا اليهم من طريق الجد والمرارة ! فانهم يستطيعون حينذاك ان يشيدوا البناء بنجوم السماء !

والآن أضع بين يدى الرسالة نص مقدمة « الأعاصير » لتنتقى من أفكارها ما تتسع له صفحاتها ومنهاجها ، ولو أن الأمر الى لوضعتها كاملة تحت عين القارىء ليرى ذلك القلب الخافق رحمة لأمته ، والصوت الصارخ لآلامها ، والقلم الوفى لقضيتها .

* * *

أما بعد فانى كتبت ما تقدم قبل أن أقرأ المقال الذى كتبه صديقى الأستاذ الاديب على الطنطاوى الدمشقى فى عدد مضى من الرسالة والذى ينعى فيه على أدباتنا الذين لم يعرفوا حق القومية فى عصر الجهاد والذين اعتنقوا الأدب للفن لا للحياة .. وقد عجبت لهذا التوافق فى ظهور هذه الأفكار بينه وبين صاحب الأعاصير .

ويلوح لى أن الأمر جد ، وأن زمان ظهوره قد شاءته المقادير ، وأن هذه الدعوة يجب أن يلقى التبشير بها ماله من الاعتبار عند أدباء العربية ، وأنه يجب أن ترسم الخطة التى ينبغى أن يتجه اليها أدب أمة تتزى المنافى السياسة والاجتماع .

وأنى لأستقبل المغرب وأرسل للشاعر القروى تحيتى حارة خالصة لايطفىء من حرارتها عبور مابيننا وبينه من ديار وقفار وبحار . ثم استقبل المشرق فأحيى صديقى الأستاذ الطنطاوى تحية طيبه . ومنى نفسى أن يكون لهذين الصوتين المنبعثين من مشرق الشمس ومغربها ، صدى بالغ إلى قلوب قراء الرساله ؟

عبد المنعم خلاف

المقدمة

هذه الاعاصير ! وهى مختارات من شعرى الوطنى ، نحيتها عن سائر أشعارى لتخصوصف فى جوروحدها . انها خواطر جامحة ، وأفكار ثائرة ، بلوت من صراعها فى صدرى مع اخواتها الوادعات ، ما أشفقت معه أن أجمع بينهن فى كتاب ، يَسُمُّنَه من تأبذهن وحراشهن ما سُمُّنَى من عذاب . ولم أخصها بالنشر ، على ما فيها من شدة وعُرام ، قبل مختلف المواضيع التى يشتمل عليها ديوانى ، إلا لاعتقادى أنها الى مايبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية ، احوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية ، واصلاحا للبشرية .

هذه آيات أنياتنا واسفار حكاتنا ، تشهد بأن لنا من فيض العاطفة الاجتماعية ، وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ، ما ليس لسائر الأمم بعضه ، ولكن هذا الذى أردنا به السلام للعالم يعمل به أحدٌ سوانا ؟ فلم تهد الناس شيئاً وعاد علينا نحن وبالا شديداً فلقد وزعنا الحب على أهل الدنيا ، حتى لم يبق لنا منه فضلة لذواتنا ، ولقد

بلغنا من انكار النفس والتطوع بخدمة الغرباء مبلغا جاوز بنا رياض فضيلة الكرم ، وشرف التضحية الى سباخ التمرغ والذل والدناءة . انا أيبلس المطايا قياداً ، وألينها شكيمة ، وأحناها ظهراً ، وأنعسها مركبا ، بل نحن صيد شهى سائغ ، ليس أقرب منه منالا ولا أسهل منه مأخذاً ، فبدلا من أن يتكلف القناصون مشقة نصب الفخاخ لنا أو مطاردتنا ووهقنا ، باتوا وجهادهم محصور فى كيف يتقون تهافتنا عليهم ، ووقوعنا على أقدامهم ، كما يدفع الرجل كلبه عنه حذراً منه على لباسه ، لفرط ما يرى من تحببه اليه وتوثبه عليه .

اما والله لو كنت شاعراً فرنسياً أو انكليزيا لحبست النفس على التبشير بالسلام ، ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان . لأن الرأفة والحنان زينة الأقوياء . أما وأنا سورى ، ومن لبنان ، فانى لاغرض لى فى الحياة أشرف من دعوة شعبى الى بغض الشعوب ، ولا مثل عندى أعلى من استنهاض أمتى لمحاربة الأمم . وأنه ليغض اسمى من الحب ! وانها لحرب اقدس من السلم ! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة فى شىء أكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار ، حجة الذليل اللئيم ! فلنصافح السيوف ، فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء ! نحن نحب أوروبا ، ولذلك يجب أن نبغضها أولا ! نبغضها لنحاربها ، ونحاربها لنتحرر منها ، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها . نحن أصح الخلق أبداناً وأرجحهم عقولا ، وأحسنهم أرواحا ، فلو فكت عنا اغلال القوة الغاشمة لسبقنا العالمين فى مضامير العمران ، ولأسبغنا على العلم من دمائة اخلاقنا ما يروض أوابده ويصرف اعنته على أكمل وجوه الخير والصلاح . ولكننا ، دون هذه الأمم الحرة أمة شلتها قيود التقاليد الرثة والتعصبات المقيتة ، كلما فتحنا عيوننا على عيوبنا وحاولنا تحطيم اصفادنا لنسرى فينا الدماء ، ونعود فنعد فى الاحياء ، أحكم الظلم وثاقنا ، وضاعف ارهاقنا وألقى بنا فى مطارح الخسف والهوان ، طرحك الخرق البالية فى القمامات !

فيا أبناء وطنى — لكم تجدون بينكم من دعاة الاستعمار ، نفراً يدعون الحكمة ويتكلفون الوقار — يجلس وأحدهم جلسة الوثن مترصنا جامداً ، كأنما ركز المصور أو المزين رأسه على شكل لا ينحرف عنه . ثم يبسط كفيه على ركبتيه ، ويزوى بين عينيه ، ويقول خافضا صوته : — ما لكم ولهؤلاء الشعراء ، ان هم إلا صبية اغرار ، يحرضونكم على المطالبة بالحرية ، ولا سلاح لديهم غير ألسنتهم وأقلامهم ، فيجلبون عليكم النقمة ويسوقونكم الى الهلاك . . . ألا أعرضوا عنهم ! وكلوا أمركم الى ولاة الامر فيكم ، أنهاكم الحنون ، وحاشا لأمكم الحنون أن تريد بكم شراً . . . أنها تهيء لكم خيراً جزيلا . تدربكم على الحرية ، فاذا صرتم لها أهلا وهبتها لكم لوجه الله لا تبغى اجراً ولا شكوراً ، فاسعفوها فى اصلاح نفوسكم تستقلوا ، فالاستقلال رهن بأهليتكم ، ووقف على استحقاقكم . الى ما شاكل من عظات تخثر النفوس وتوهن العزائم ، وتطفئ جذوة الحماسة فى الصدور — أما أنا فأقول لكم : يا أبناء وطنى لا يؤهلكم للاستقلال إلا الاستقلال نفسه . نفوسكم ضائعة . نفوسكم مغصوبة . جددوها أولا واستردوها ثم اصلحوها ! أفأنتم مسؤولون عما لا تملكون ؟

ان هؤلاء المضللين يلهونكم عن السعى الى تحقيق مطلبكم الاسمى ، ببهرج من وعد ، وزيف من رجاء ، لتلبثوا حيث أنتم أو تمشوا القهقرى . أنهم يحاولون اقناعكم بان العبودية وسيلة الى الرقى ، بالرقى وسيلة الى الاستقلال . انهم يعدون الجائع بقميص ، ويمنون العارى بكأس ثلج ، أرأيتم منطقا أسد من منطق المستعمرين ؟ يا أبناء وطنى ! الاستقلال هرب من حمام ، وطب من سقام ، وكما أن النقه درجة بين الداء والصحة ، هكذا الحرية مرحلة بين العبودية والمجد . الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق الذى انتم فيه ، ووسيلة بالنظر الى الرقى الذى تنشدون ، فمزقوا هذه العصائب ، وحطموا هذه القيود ثم رودوا نجح الاصلاح ، وحاضروا فى أشواط الفلاح ، فلا هدى لعميان ، ولا عدو لمتعدين .

ولقد يقول الناقدون ، ما شأن السياسة فى الشعر ؟ ان الشعر لأرفع من هذه الاباطيل . انه تنكب عن أغراض الدنيا وإعراض عن سفساف الحياة ، وتلمس للمثل الأعلى . ثم يقولون من ناحية أخرى : — الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة أكمل تمثيل ، والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة : هو دليل أمته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها . رافعاً لواء الحق . هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء . ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر . فنقول لحضرات الناقدين : — انا إذاً وإياكم لجد متفقين ، ولا خلاف بيننا إلا أن ما نسميه نحن وطنية أخطأتم أنتم فدعوتموه سياسة . اننا فى سدا الشعر لم نخض معارك انتخاب ، ولا تدخلنا فى أحزاب ، ولكننا جهرنا بالحرية ونادينا بالاستقلال ، وطالبنا بالحق ونشدنا العدل . والحرية والحق والعدل ليست من أباطيل الحياة كما تزعمون ، ولكنها

من أشرف مبادئها وأنبل غاياتها . ولقد عبرنا فى شكاوينا المحرقة عن أعمق جراحات أمتنا المطعونة فى صميم عزتها وإبائها ، وأعربنا فى صيحاتنا عن أسمى ما تغامر بلادنا فى سبيل استرداده من شرف مروم ، كان فوق النجوم ، فبات سحيقاً تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين .

أما ذلك الشعر الذى تضحك فيه الحياة ، وترن قوافيه بألحان الحب والغزل ، وتعبق أنفاسه بنفحات الشباب ، فله ساعات تخلص فيها النفس من اعبائها وتتناسى الى حين ما هى فيه من شقاء ، وقد اتفق لنا منه قدر معلوم سننشره فى كتاب وحده ، ولكنه على كل حال ليس بالشعر الذى يتسم به أدب أمة مقهورة كأمتنا الراهنة ، انه لدولة مرفوعة لواء المجد ممدودة رواق العز كدولة أجدادكم فى الشام وبغداد والأندلس لا كدولة الانيار التى تحتها ترزحون ، والاصفاد التى فى حديدها ترسفون .

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين فى المريخ ودخان غيظها يوشك أن يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء ، افتريدون منا أن نخرج المعجزات فنسمعكم همس الازهار وسط هذا الضجيج ، ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ان لم تكن غرباء الشعور عن هذه الامة وإن لم تكن بعيون غيرها تبصر ، وبآذان غيرها تسمع ، ومثل غيرها تنشد ؟ الا على رسلكم ايها الناقدون افاما أن تأتونا بغير هذا الافلاس الوطنى آية والا فحسبكم تضليلا

وهبوكم لاتؤمنون بغير الارض وطنا ، وغير الانسانية عشيرة ، افتعتقدون ان الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟ واذا كنتم ولاشك تشعرون بفقرها الى الاصلاح فلماذا لاتباشرونه من أقرب اقطارها اليكم ؟ ان الذى يغتصب لحق هضم فى الصين اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده ، والذى ينفر الى نصرة مظلوم فى آخر الدنيا لحرى بان يذود عن ضعيف يصرعه البغى بين شماله ويمينه ! إن الحرية هى الحياة بمعناها الشريف وهى اول حقوق الانسان ، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروا الحياة على أقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ الا فاشتروا لوجوهكم براقع ايها المراؤون او فاستروها بأكفكم خجلا ! إن الذى لايستطيع ان يحب نفسه وأهله فلن يحب من الناس احداً

يا أبناء وطنى ! ويقول لكم ضائع المستعمرين نحن مثلكم نحب الحرية ولكن أين عدتكم للحرب والصدام ؟ أين مدافعكم وأساطيلكم وطياراتكم وغازاتكم الخانقة ؟ فأقول للرعاديد لا تحتجوا بحاجتكم الى السلاح فأنتم الى الاباء وعزة النفس أحوج ! اشعروا أولا بهوانكم واغضبوا لكرامتكم فاذا فعلتم فأنا الكفيل بأنكم تجدون غير هذه الجبانة جوابا لمن يسألكم أين عدتكم للحرب والصدام ! فوالله انكم بطول نومكم على هذا الضيم واستكانتكم لهذا الذل قد برهتم على أنكم أصبر الناس على الكريهة ! فلماذا تتقون الحرب ؟ أو تخافون موتاً شراً من الموت الذى أنتم فيه ؟ !

أفانتم أكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ أأنتم أودع من حمل الجلجلة ؟ أما غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت أبيه ؟ فبربكم أيها الشياطين الأتقياء كونوا آلهة أشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن بيوت آبائكم وأجدادكم ! واذا كان يشق على أيديكم الحريرية الناعمة أن تجلد بالسياط أو تضرب بالسيوف فحاربوا بسعف النخل وأغصان الزيتون ! حاربوا بالسلام ! حاربوا بالغندية ! ان الشريف لا يعدم سلاحا يناضح به عن الحق ، أما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره وهو فى غاب من بنادق وحراب . ألا ليت الجبان كان لعيناً يزجر الطير ويفزع الثعالب فان هذا اللعين يخاف كل شىء ولا يخيف أحداً ! ! ..... الشاعر القروى